مركز حمورابي

التوجه الروسي نحو افريقيا الوسطى:
بوابة الاختراق وتعميم النفوذ

التوجه الروسي نحو افريقيا الوسطى: بوابة الاختراق وتعميم النفوذ

أ.د نوار جليل هاشم

كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

مدير مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

21 كانون الاول 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الابحاث والدراسات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

مقدمة:

شهد الحضور الروسي في القارة الإفريقية تراجعًا بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي؛ إذ جرى إغلاق عدد من البعثات الدبلوماسية والمراكز الثقافية الروسية في إفريقيا، كما جرى إلغاء برامج المساعدات والمنح الاقتصادية. هذا التراجع مع ذلك لم يستمر طويلًا. فبعد وصول الرئيس فلاديمير بوتين إلى سدة الحكم في موسكو، عام 1999، أحدث تحولات جذرية في السياسة الخارجية حتى تستعيد روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي مكانتها ونفوذها ضمن القوى العظمى الفاعلة والمؤثرة في السياسة الدولية. تعتقد روسيا بوتين، أن لديها مهمة تاريخية مقدسة، في استعادة إرث "عظمتها" التاريخية، وانتزاع "حقوقها" التي سلبها الغرب إياها، وعكس الهزيمة الجيوسياسية التي تلقتها بعد تفكُّك الاتحاد السوفيتي، وتجنُّب الأخطاء التي وقع فيها الأخير، عَبْر التعاون مع إفريقيا، ومدّ النفوذ فيها على كافة المستويات، دون إرهاق خزينة الدولة. ومن المفيد عند دراسة وتحليل السياسات الروسية عدم إغفال طابع الحكم الفردي الذي يتمتع به بوتين، الذي يسعى "لاستعادة" أمجاد روسيا.

التعاون العسكري عصب الشراكة

يعد التعاون العسكري بين روسيا والدول الإفريقية عصب الشراكة، وهناك عدد محدود من الدول الإفريقية تربطها علاقات عسكرية متينة بروسيا من خلال عقود توريد الأسلحة والمعدات العسكرية وكذلك من خلال التدريب والاستشارات واتفاقيات التعاون الأمني والاستخباري. وتعد إفريقيا ثاني أكبر مستورد للأسلحة الروسية بعد قارة آسيا، ومن أهم تلك الدول: "الجزائر، ونيجيريا، وأنغولا، والسودان، والكاميرون، والسنغال، وموزمبيق". فضلا عن ذلك تعني إفريقيا بالنسبة إلى روسيا الكثير إذ تشكِّل مصدرًا مهمًّا للموارد الطبيعية "النفط والغاز والمعادن والأخشاب والثروة الحيوانية".

تتميز الجغرافيا الاجتماعية لجمهورية إفريقيا الوسطى، التي نالت استقلالها عن فرنسا في أغسطس/آب 1960، بالثراء والتنوع، ويعتمد اقتصادها على القطاع الزراعي الذي يسهم بأكثر من نصف الناتج المحلي الإجمالي إلى جانب الغابات والتعدين حيث يعيش حوالي 60٪ من السكان في المناطق النائية، وتمثل الأخشاب والألماس واليورانيوم والذهب والقطن معظم عائدات التصدير.

يمثل انتقال السلطة في إفريقيا الوسطى تحديًا كبيرًا لاستقرار البلاد وأسهم في تعقيد المشهد السياسي والاجتماعي؛ فمنذ استقلالها عن فرنسا تغيرت الحكومات خمس مرات عن طريق الانقلابات العسكرية. وقد شهدت البلاد في العام 2013 صراعًا متعددًا يختلط فيه السياسي بالديني والإثني بين قوات تحالف السيلكيا وقوات الأنتي بالاكا.

التواجد الروسي

بدأ الحضور الروسي في جمهورية إفريقيا الوسطى في العام 2017 حين ناشد الرئيس المنتخب حديثًا، فوستين أرشانج، مجلس الأمن الدولي برفع حظر الأسلحة المفروض على بلاده حتى يتسنى للحكومة استيراد أسلحة ومعدات عسكرية للدفاع عن نفسها وحماية المدنيين. كان فوستين يراهن على فرنسا التي قدمت اقتراحًا بإرسال1400 بندقية من طراز (AK-47) استولت عليها البحرية الفرنسية أثناء عملية لمكافحة القرصنة قبالة سواحل الصومال، إلا أن روسيا استخدمت حق النقض تجاه الفكرة الفرنسية بحجة أنه لا يمكن استخدام الأسلحة المصادرة أثناء عملية حظر الأسلحة وتوجيهها لأغراض أخرى. عرضت موسكو بدلًا من ذلك التبرع بأسلحة خفيفة لجمهورية إفريقيا الوسطى، وهو الاقتراح الذي حظي بموافقة جميع أعضاء مجلس الأمن الدولي.

ما بدأ بتبرع روسي محدود بالأسلحة الخفيفة سرعان ما تحول إلى وجود أمني فعال، إثر إرسال موسكو 170 مدرِّبًا مدنيًّا وخمسة أفراد عسكريين في مهمة أمنية متعلق بحراسة مواد بناء ومستشفيات تنشئها روسيا هناك. تبين لاحقًا أن المدنيين نخبة من قوات مرتزقة للروس التابعين لمجموعتي سيرا للخدمات الأمنية وفاغنر التي كان يديرها رجل الأعمال، يفغيني بريغوجين،والذي كان مقربا من الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين. أقام معظم هؤلاء المدربين الروس في قصر بيرينغو المهجور الذي كان يقطنه في السابق الإمبراطور بوساكا ويبعد القصر مسافة 35 ميلًا عن العاصمة، بانغي.

وخلال فترة وجيزة سيطر الروس على جميع المهام الأمنية المهمة في إفريقيا الوسطى بما في ذلك حراسة الرئيس فوستين أرشانج. وفي خطوة تعكس حجم التعاون بين موسكو وبانغي تم تعيين الروسي فاليري زاخاروف، ضابط المخابرات السابق، في منصب مستشار الأمن القومي للرئيس فوستين أرشانج. تُوِّجت العلاقة في أغسطس/آب 2018؛ حيث وقَّع البلدان اتفاقية تعاون عسكري وجرى السماح بافتتاح مكتب لتمثيل وزارة الدفاع الروسية في بانغي، وأعلن رئيس إفريقيا الوسطى أن بلاده تدرس السماح بإنشاء قاعدة عسكرية فوق أراضيها، فضلًا عن سيطرة روسيا على مناطق واسعة ضمَّت مناجم الماس والذهب واليورانيوم.

ووصفت الصحيفة رئيس جمهورية أفريقيا الوسطى، فاوستين آركانغ توادیرا بأنه "مؤيد متحمس لروسيا"، ويتخذ من قوات فاغنر حرسا شخصيا له. وتعمل مجموعة فاغنر في أفريقيا الوسطى منذ عام2018، لحماية الرئيس وتدريب قوات الجيش، وحصلت بعد ذلك على سلسلة امتيازات مهمة في مجال التعدين، للتنقيب عن الذهب والماس، وأوضح التقرير أن مقاتلي فاغنر "يتحركون في بانغي ويتسوقون في محال البقالة ويتجولون في الشوارع، مرتدين أقنعة للوجه، التزاما بتعليمات المجموعة".في العاصمة بانغي، يبدو النفوذ الروسي "في كل مكان"، بداية من الحانات التي تقدم مشروبات كحولية تصنعها شركات تابعة لفاغنر، وهناك مقاتلات روسية تبرعت بها موسكو للدولة الأفريقية تحلق في طلعات جوية متكررة. وكشفت المسؤولة البارزة في منظمة "The Sentry" الأميركية غير الربحية، التي ترصد أنشطة فاغنر، ناتاليا دوخان، لشبكة "سي إن إن"، أن "(البيت الروسي) في بانغي، هو بمثابة محور جميع أنشطة فاغنر في أفريقيا الوسطى". وتقول المنظمة الأميريكة إن "البيت الروسي يعتبر مركزا لعمليات مرتبطة بأنشطة فاغنر التجارية، مثل بيع الذهب والماس، وأنشطة ترفيهية للشخصيات المهمة". كما ينظم المكان فعاليات، تسعى لنشر الثقافة الروسية، والترويج للتصورات المؤيدة لموسكو فيما يتعلق بالعلاقات الدولية، وفق "سي إن إن".ونقلت "سي إن إن" عن أحد مستشاري الرئاسة في أفريقيا الوسطى، فيديليه غواندجيكا، قوله إن "التمرد الفاشل لفاغنر (في روسيا) ومقتل قائد المجموعة، لم يتبعه أي تغيير في العلاقة بين بانغي وموسكوالعسكرية الخاصة. كانت ثمَّة مساحة أمام الكرملين للتنصل من أفعال المرتزقة الروس في أفريقيا كما حدث في مالي؛ حيث إن الحجة دوماً هي أن شركة فاجنر لا تخضع للإشراف المباشر من قبل وزارة الدفاع الروسية. على أنه بعد مقتل مؤسس الجماعة يفجيني بريجوزين في أغسطس2023، حدث تغير جوهري في النهج الروسي. لقد اتجهت السلطات الروسية إلى تجنيد العديد من المتطوعين للانضمام إلى "الفيلق الأفريقي" الذي سيحل محل مرتزقة شركة فاجنر العسكرية الخاصة في القارة الأفريقية. ومن المأمول أن يتألف الفيلق الجديد من 20 ألف شخص من القادمين الجدد والمرتزقة السابقين في شركة فاجنر. وطبقاً للمصادر الرسمية الروسية، سوف يخضع الفيلق الأفريقي، في هيكله التنظيمي، لإشراف وزارة الدفاع الروسية. وتمثل جمهورية أفريقيا الوسطى مركز القاعدة الإقليمية للوجود الروسي في أفريقيا، ولا سيما دول مثل بوركينا فاسو وليبيا ومالي والنيجر. وقد وصل بالفعل نحو 100 عسكري روسي إلى بوركينا فاسو؛ لضمان سلامة الرئيس إبراهيم تراوري.

وعليه استمرت روسيا في تعزيز نفوذها في مختلف المجالات والأصعدة بجمهورية إفريقيا الوسطى؛ حيث تدخلت في سَنِّ التشريعات لضمان مصالحها واستراتيجيتها التي تتعارض مع متطلبات المانحين الدوليين والمؤسسات الدولية.اذ وجدت إفريقيا الوسطى نفسها في مواجهة الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي. وقد لعبت روسيا أيضًا دورًا مهمًّا في إيجاد مقاربة وصيغة جديدة من أجل إبرام اتفاق سلام بين الحكومة في

بانغي بقيادة فوستين أرشانج والجماعات المتمردة؛ حيث استطاع الروس إقناع حكومة إفريقيا الوسطى والجماعات المتمردة بالتفاوض وتوقيع اتفاقية الخرطوم للسلام من أجل تسوية الصراعات.

خلق توازُن مع الصين: رغم ما يبدو من علاقة تعاوُن بين روسيا والصين، لكن كِلا البلدين لديه مخاوف مشتركة من بعضهما البعض، وصراعات تاريخية. في المقابل، تجمعهما الرغبة في نيل الاعتراف الأمريكي بالمكانة التي يريان أنهما يستحقانها. يُشكّل الوجود الروسي في إفريقيا، وتركيزه على الجانب العسكري، عامل توازُن مع التنامي الاقتصادي الصيني في القارة، حتى لا تبدو موسكو في موقف ضعف أمام بكين خصوصًا بعد تزايد الاعتماد عليها اقتصاديًا على إثر العقوبات الغربية. لكي تحافظ روسيا على العلاقة السلمية والتعاون مع الصين، وتعزيز هذا التعاون؛ تعرض موسكو تقديم الخدمات العسكرية، القادرة على حماية المصالح الاقتصادية لبكين، والتعاون المشترك لطرد القوى الغربية، وإعادة هيكلة وتشكيل دول القارة التي تعصف بها الصراعات الداخلية، وتقاسم الثروة والنفوذ معًا.

الضغط على القوى الغربية: تعتقد روسيا، أن بإمكانها تشكيل المزيد من الضغوط على الغرب، والدول الأوروبية خاصة، عبر تهديد نفوذها التقليدي في إفريقيا، وإشغالها في معارك جانبية، وزيادة الأعباء العسكرية والاقتصادية عليها نتيجة تدخُّلاتها، وازدياد تدفُّق الهجرة غير الشرعية، وهو ما يُضعف مواقف هذه الدول في دعمها لأوكرانيا، ويمنح موسكو ورقة ضغط يمكن أن تقايض بها على ملفات أخرى تهمها في جوارها القريب ما بعد السوفيتي.

من أجل مواجهة التقدم الروسي في جمهورية إفريقيا الوسطى قامت فرنسا بسحب جزء من طاقمها العسكري وجمدت مساعدتها التي تبلغ عشرة ملايين يورو وعلَّقت التعاون العسكري الثنائي وسط اتهامات لحكومة فوستان أرشانج بالتواطؤ مع حملة مناهِضة لفرنسا تقودها روسيا. تعدَّى الوجود الروسي الشكل العسكري بل عبَّرت فرنسا عن قلقها من النفوذ الروسي وهيمنة الشركات الروسية على الذهب والألماس فضلًا عن الانتهاكات في مجال حقوق الإنسان "إعدامات جماعية وتعذيب" من قبل القوات الروسية.

اعتمد الكرملين على إفريقيا الوسطى كبوابة الاختراق وتعميم النفوذ؛ حيث يمكن القول: إن موسكو نجحت بإضعاف النفوذ الفرنسي، القوة الاستعمارية المهيمنة تاريخيًا، وفي غضون فترة وجيزة أصبحت إفريقيا الوسطى نموذجًا للتصدير مع انتزاع مميزات الدور الفرنسي في مجالات تدريب الجيش، والحرس الرئاسي، وأمن المؤسسات، ومناجم الذهب والألماس والبلاتين والكروم، مقابل حصة من الدخل والمنافع الاقتصادية. والتعاون العسكري الروسي لا يقتصر على البعد الرسمي والنظامي حيث جرى الكشف عن إرسال وحدات من مرتزقة فاغنر حيث تعتمد على استراتيجية تقديم الأسلحة والمعدات العسكرية ونقلها بشكل خفي بعيدًا عن أنظار الجهات الحقوقية وتعميق النزاعات الداخلية واستخدام أساليب وتقنيات الحرب السيبرانية واعتماد روسيا على مرتزقة فاغنر كرأس حربة لنفوذها في إفريقيا الوسطى للحيلولة دون تحمل مسؤولية مباشرة أو التزامات تجاه ما تقوم به فاغنر

إعادة تشكيل خرائط العالم: تعتقد عدة جهات سياسية وبحثية مؤثرة في روسيا، أن مشكلات إفريقيا، نابعة من التقسيم "الجائر" للحدود، التي تم رسمها وَفْق مصالح وتوافُقات القُوى الغربية، لتقاسُم النفوذ والموارد فيما بينها، على أساس أنها باقية في القارة ولن تذهب، بينما كان من المفترض أن يُعاد النظر فيها بعد نهاية الظاهرة الاستعمارية، لكن القادة الأفارقة وقعوا في فخّها، وهو ما أدى لخلق دول فاشلة، لا أمل في إعادة إصلاحها بشكل سلمي، دون إعادة تفكيك هذه المنظومة. كما يقترحون، أن تبادر روسيا، بعملية التغيير هذه؛ لأن الحدود بشكلها الحالي، ستجعل الكفّة دائمًا ترجح لصالح الصين والغرب، وخروج روسيا خاسرة من هذه المعادلة. وهو ما عبَّر عنه بوضوح، البروفيسور في العلوم التاريخية، نائب مدير معهد الدراسات الإفريقية التابع للأكاديمية الروسية للعلوم، ديمتري بوندارينكو. بينما اقترح (13) خبيراً روسياً وإفريقياً متخصصون في الشؤون الإفريقية، إعادة تشكيل النظام الخاص بدول الساحل الإفريقي، عَبْر تأسيس كونفيدرالية موسعة تجمع كافة دول المنطقة، وذلك في دراسة خاصة حول هذا الموضوع، صادرة عن مجلس الشؤون الدولية الروسي، التابع للكرملين. توفر إفريقيا، فرصة مثالية لروسيا، لتحويل نظرياتها لواقع، حول عدم "صلاحية" النظام العالمي القائم، ودورها في إعادة تغييره، عَبْر تغيير كافة قواعده، لصنع نظام عالمي جديد.

عوامل تعزيز الحضور الروسي في جمهورية إفريقيا الوسطى

هناك عاملين مهمين لجعل روسيا تتجه إلى إفريقيا الوسطى. العامل الأول، اقتصادي، فـ" هذه الجمهورية غنية جدا بالموارد وخاصة اليورانيوم والمعادن الثمينة"، أن السياسات الاقتصادية في كثير من بلدان إفريقيا مبنية على علاقات شخصية، وهذا بدوره ينعكس سلبا على حالة الأفارقة المعيشية، ولكنه يتيح فرصا ثمينة وإمكانيات السيطرة للقوى الخارجية". أما العامل الثاني الذي يجذب روسيا إلى جمهورية إفريقيا الوسطى خاصة، هو موقعها الجغرافي وتبوُّؤها قلب القارة السمراء.

لأجل هذا، ذهب كثير من المحليين السياسيين والخبراء الدوليين إلى أنه يستحيل على روسيا جَنْي أرباح من عمليات بيع الأسلحة خصيصا لجمهورية إفريقيا الوسطى وبوركينا فاسو، ولكنها يمكن أن تستفيد من الوصول إلى الموارد الطبيعية.

الخاتمة:

أن التواجد الروسي في جمهورية إفريقيا الوسطى له تبعات كبيرة ، بل يُشَكِّل منعطفا جديدا في معطيات السياسة الخارجية الأفرو-وسطية، فإلى أيّ ساحل من سواحل مناجم الطاقة الأفرو وسطية تَرْسُو سفينة الدّب الرّوسي، وإلى أيّ عُمْقٍ سياسي واستراتيجي في القارة الأفريقية يتُوقُ إليه الروس من خلال السيطرة والتحكم على جمهورية إفريقيا

الوسطى ومواردها الطبيعية التي ما زالت الإدارة الفرنسية تعتبرها كجزء من إرث أجدادها القديم، ومخزونها الاستراتيجي.

مصادر المقال

1- قاعدة روسية في إفريقيا الوسطى. موسكو تثبت أقدامها في القارة 12ا فبراير 2024 - سكاي نيوز عربية
-https://www.skynewsarabia.com/amp/world/1692447

2- كيف ابتلعت روسيا أفريقيا الوسطى؟ مركز الجزيرة للدراسات 25/3/2022
/https://www.aljazeera.net/amp/midan/reality/politics/2022/3/25

3-لسفير الروسي: نحن وسلطات إفريقيا الوسطى بصدد اختيار موقع لقاعدة عسكرية روسية RT مارس, 2024

4- فيلق أفريقيا" . روسيا تعيد ضبط استراتيجيتها بالقارة السمراء، مارتينا شفيكوفسكي | تياسو كوسيفي | جان فرناند كونيا ،١٨/2/2024 فبراير https://amp.dw.com/ar

5- سلطات إفريقيا الوسطى ترحب باستضافة قاعدة عسكرية روسية على أراضيهايناير, 2024 20:49
https://arabic.rt.com/world/1530157

6- روسيا لا تزال تعزز هيمنتها على أفريقيا الوسطى من خلال فاغنر ، الحرة / ترجمات – دبي ،19 سبتمبر 2023
https://www.alhurra.com/arabic-and-international/2023/09/19

7- محادثات بين روسيا وإفريقيا الوسطى لتحديد موقع قاعدة عسكرية ، الشرق 26 مارس 2024 ،
https://asharq.com/amp/latest-news/45401

8- وسيا تقدم لإفريقيا الوسطى 50 ألف طن من الحبوب كمساعدات ،26 ا يناير 2024 - 11:27 بتوقيت أبوظبي ،سكاي نيوز عربية
-https://www.skynewsarabia.com/amp/business/1688383

9- بديل فاجنر: دور "الفيلق الأفريقي" في تعزيز نفوذ روسيا بأفريقيا أ.د حمدي عبد الرحمن حسن
انتريجونال للتحليلات الاستراتيجية
https://www.interregional.com/article/%D8%A8%D8%AF%D9%8A%D9%84-%D9%81%D8%A7%D8%AC%D9%86%D8%B1:/2315

10-روسيا ترث بريغوجين في أفريقيا الوسطى. وجنود فاغنر بكل مكان دبي – العربية.نت نشر في: 19 سبتمبر, 2023
/https://www.alarabiya.net/amp/arab-and-world/2023/09/19

11- روسيا تطلق العنان لماكينة القوة الناعمة في جمهورية إفريقيا الوسطى بواسطة ADF آخر تحديث ديسمبر 21, 2021
/https://adf-magazine.com/ar/2021/12

12- محمد زكريا فضل: الحضور الروسيفي جمهورية افريقيا الوسطى وعلاقته بالموارد الطبيعية ،افريكان ترينذز 16/1/2023، /https://afrikatrends.com

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 25-4-2012 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة